تفسير سورةُ الشعراء
من آية (27) إلى آية (51)
اللقاء الثالث

المعنى الإجمالي من آية (10) إلى آية (26):

يحكي الله تعالى جانبًا مِن قصةِ موسى عليه السلامُ، فيقولُ: واذكُرْ -يا محمَّدُ- حينَ كلَّم رَبُّك موسى وأمَرَه أن يذهَبَ إلى القَومِ الظَّالمين؛ قَومِ فِرعَونَ، وأنْ يقولَ لهم: ألَا تتَّقون اللهَ وتتركونَ ظُلمَ عِبادِه؟! فقال موسى: ربِّ، إنِّي أخافُ أن يكَذِّبَني فِرعونُ وقَومُه، ويَضيقُ صَدري بسَبَبِ تَكذيبِهم إيَّاي، ويُحبَسُ لساني عن مُخاطبةِ فِرعَونَ، فلا يُبِينُ ما أرسَلْتَني به، فأرسِلْ أخي هارونَ رَسولًا معي يُعينُني، وإنَّ لِقَومِ فِرعَونَ علَيَّ ذَنبًا؛ لقَتلي رجُلًا منهم، فأخافُ أن يقتُلوني به.

فقال الله لِموسى: كلَّا، لن يَقتُلوك، فاذهَبْ أنت وأخوك إليهم بمُعجِزاتِنا، إنِّي معكما مؤيِّدٌ وحافِظٌ، أسمَعُ ما يدورُ بيْنَكم، فأْتِيَا فِرعونَ فقُولا له: إنَّا مُرسَلانِ لك مِن رَبِّ العالَمينَ، بأنْ تُطلِقَ بني إسرائيلَ، وتتركَهم يأتون معنا إلى الأرضِ المقَدَّسةِ لعِبادةِ اللهِ وحْدَه.

ثمَّ يحكي سبحانَه ما دارَ بينَ موسَى وفرعونَ مِن محاوراتٍ، فيقولُ: قال فِرعَونُ لِموسى: ألم نرَبِّك بيْنَنا صغيرًا، ومكثْتَ عندَنا سِنينَ كَثيرةً مِن عُمُرِك، ثمَّ قتَلْتَ رجُلًا منَّا وأنت جاحِدٌ لنِعمتِنا عليك؟! فقال موسى: إنَّما قتلْتُه خطأً، وقد كنتُ مِن الجاهلينَ لم يُوحَ إلَيَّ بعْدُ، فهَرَبتُ منكم خَوفًا مِن أن تقتُلوني، فأعطاني ربِّي عِلمًا وفَهمًا، وجعَلَني رَسولًا إليكم، وتَمُنُّ علَيَّ بهذه المنَّةِ أنْ سخَّرْتَ بني إسرائيلَ، وجعلْتَهم لك عَبيدًا، ولم تَستعبِدْني، فهذه ليست نِعمةً، فكيف تَمُنُّ علَيَّ بها؟!

يقولُ الله تعالى حاكيًا تعنُّتَ فرعونَ في محاورتِه لموسى عليه السلامُ وتمرُّدَه: قال فِرعَونُ مُنكِرًا مَعرفتَه برَبِّه: وما رَبُّ العالَمينَ الذي أرسلَك كما تزعُمُ يا موسى؟! قال موسى: هو خالِقُ السَّمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، ومالِكُ كُلِّ ذلك إنْ كنتُم تُوقِنون. قال فِرعَونُ لِمَن حَوْلَه مِن الملأِ: ألَا تَستَمِعون إلى ما يقولُه موسى؟! قال موسى: اللهُ هو ربُّكم وربُّ آبائِكم مِن قَبْلِكم. قال فِرعَونُ معانِدًا للحقِّ، قادحًا بمَن جاء به: إنَّ موسى -الذي يزعُمُ أنَّه رسولٌ إليكم- مجنونٌ!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿27﴾

(قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) أي: قال فِرعَونُ مُتهَكِّمًا: إنَّ موسى الذي يزعُمُ أنَّه رسولٌ إليكم لا عَقلَ له، ويقولُ ما لا نعلَمُ حَقيقتَه. موسوعة التفسير

قال الرازي: أنَّ الواجِبَ على مَن يدعو غيرَه إلى اللهِ تعالى ألَّا يُجيبَ عنِ السَّفاهةِ؛ لأنَّ موسى عليه السَّلامُ لَمَّا قال له فرعونُ: إنَّه مجنونٌ! لم يَعْدِلْ عن ذِكرِ الدَّلالةِ، وكذلك لَمَّا تَوعَّدَه أنْ يَسجُنَه

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿28﴾

(قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) أي: قال موسى لِفِرعَونَ وقَومِه: الَّذي أدعوكم إلى عبادتِه هو رَبُّ المشرِقِ والمغرِبِ وما بيْنَهما وما يَحدُثُ فيهما، وليس مُلكُه ناقِصًا كمُلكِكم، فإن كانت لكم عُقولٌ تَعرِفونَ بها صِحَّةَ كلامي، فآمِنوا باللهِ وحْدَه. موسوعة التفسير

قال ابنُ كثير: (أي: هو الذي جعَل المشرِقَ مَشرِقًا تطلُعُ منه الكواكِبُ، والمغربَ مغرِبًا تغرُبُ فيه الكواكِبُ؛ ثوابتُها وسيَّاراتُها، مع هذا النظامِ الذي سخَّرها فيه وقَدَّرها، فإنْ كان هذا الذي يزعُمُ أنَّه ربُّكم وإلهُكم صادقًا، فلْيَعكِسِ الأمرَ، ولْيجعَلِ المشرِقَ مَغرِبًا، والمغرِبَ مَشرِقًا).

(قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [سورة البقرة:258]

وقال ابنُ تيميَّةَ: (فبيَّن له موسى أنَّكم الذين سُلِبْتُم العقلَ النَّافِعَ، وأنتم أحَقُّ بهذا الوَصفِ).

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ ﴿29﴾

قال البقاعي: مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: لَمَّا قامت على فِرعونَ الحُجَّةُ بالبيانِ والعقلِ، وغُلِبَ وانقطَعَت حُجَّتُه، عدَل إلى استعمالِ جاهِه وقُوَّتِه وسُلطانِه، وأراد أن يَقهرَ موسَى بيَدِه وسلطانِه، وظنَّ أنَّه ليس وراءَ هذا المقامِ مقالٌ، واعتقدَ أنَّ ذلك نافِعٌ له ونافِذٌ في موسى عليه السَّلامُ، فقال ما أخبَرَ الله تعالى عنه، عادلًا عن الحِجَاجِ -بعْدَ الخوضِ فيه- إلى المغالَبةِ الَّتي هي أبْيَنُ علاماتِ الانقطاعِ

(قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) أي: قال فِرعَونُ متهدِّدًا موسى عليه السَّلامُ: لئِنْ أصرَرْتَ -يا موسى- على عبادةِ مَعبودٍ غيري، لأُصَيِّرَنَّك مِن جُملةِ المحبوسينَ المعذَّبينَ في سُجوني. موسوعة التفسير

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ ﴿30﴾

قال ابن عاشور: مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: لَمَّا رأى موسى عليه السَّلامُ مِن مكابرةِ فرعونَ عن الاعترافِ بدَلالةِ النَّظَرِ ما لا مَطمَعَ معه إلى الاسترسالِ في الاستدلالِ؛ لأنَّه مُتعامٍ عن الحَقِّ- عَدَلَ موسى إلى إظهارِ آيةٍ مِن خَوارقِ العادةِ دَلالةً على صِدقِه، وعرَضَ عليه ذلك قبْلَ وُقوعِه؛ لِيَسُدَّ عليه منافِذَ ادِّعاءِ عدَمِ الرِّضا بها

(قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) أي: قال موسى عليه السَّلامُ لِفِرعَونَ: أتسجُنُني حتَّى وإنْ أتيتُك بمُعجزةٍ ظاهرةٍ وبُرهانٍ قاطعٍ يُبِينُ لك صِدقي وصِحَّةَ ما جِئتُ به. موسوعة التفسير

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿31﴾

(قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) أي: قال فِرعَونُ لموسى عليه السَّلامُ: فأْتِ بهذا الشَّيءِ المبينِ إن كنتَ صادقًا في دعْواك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى حاكيًا قَولَ موسى عليه السَّلامُ وفِرعونَ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ [الأعراف: 105، 106].

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ﴿32﴾

(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) أي: فرمَى موسى عَصاهُ إلى الأرضِ، فانقلَبَت حَيَّةً ضَخمةً في غايةِ الوضوحِ لِمَن يَراها. موسوعة التفسير

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ ﴿33﴾

(وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ) أي: وأخرَج موسى يَدَه -مِن فَتحةِ قَميصِه العُلويَّةِ مِن جِهةِ العُنُقِ- بيضاءَ تلمَعُ لجَميعِ الناظرينَ إليها في مجلِسِ فِرعَونَ. موسوعة التفسير

قال البغوي: (أدخَلَ يدَه في جَيبِه ثمَّ نزَعها منه، وقيلَ: أخْرَجها مِن تحتِ إبْطِه فإذا هي بيضاءُ لها شعاعٌ غَلَب نورَ الشَّمسِ، وكان موسَى آدمَ اللَّونِ، ثُمَّ أدخَلها جَيْبَه فصارَتْ كما كانت).

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿34﴾

(قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) أي: قال فِرعَونُ للأشرافِ الذين مِن حَولِه: إنَّ هذا لساحِرٌ بارِعٌ، ذو عِلمٍ ودِرايةٍ فائِقةٍ بالسِّحرِ، يُخَيِّلُ إلى النَّاسِ أنَّ عصاهُ تنقَلِبُ حَيَّةً، وأنَّ يَدَه تَصيرُ بَيضاءَ. موسوعة التفسير

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿35﴾

(يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) أي: يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم مِصرَ بسِحرِه. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: (أي: أراد أن يَذهَبَ بقلوبِ النَّاسِ معه بسبَبِ هذا، فيَكثُرَ أعوانُه وأنصارُه وأتباعُه، ويَغلِبَكم على دولتِكم، فيأخُذَ البلادَ منكم).

قال الرازي: (يريدُ أن يُخرِجَكم مِن أرضِكم بما يُلقيه بينَكم مِن العداواتِ، فيفَرِّق جَمْعَكم، ومعلومٌ أنَّ مُفارقةَ الوطنِ أصعَبُ الأمورِ، فنفَّرَهم عنه بذلك، وهذا نهايةُ ما يفعلُه المبطِلُ في التنفيرِ عن المحِقِّ).

(فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) أي: قال فِرعَونُ لِمَن حَولَه: فماذا تُشيرونَ علَيَّ مِن الرأيِ في شَأنِه، وما نفعَلُه به. موسوعة التفسير

قال الشوكاني: أظهَرَ فِرعَونُ للسَّحَرةِ الميلَ إلى ما يقولونَه؛ تألُّفًا لهم، واستِجلابًا لمودَّتِهم؛ لأنَّه قد أشرَفَ ما كان فيه مِن دَعوى الربوبيَّةِ على الزَّوالِ، وقارَب ما كان يغَرِّرُ به عليهم الاضمِحلالَ، وإلَّا فهو أكبَرُ تِيهًا

وأعظَمُ كِبْرًا مِن أن يخاطِبَهم مِثلَ هذه المخاطَبةِ المشعِرةِ بأنَّه فَرْدٌ مِن أفرادِهم، وواحِدٌ منهم، مع كَونِه قبْلَ هذا الوَقتِ يدَّعي أنَّه إلهُهم، ويُذعِنون له بذلك، ويصَدِّقونَه في دَعْواه.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿36﴾

(قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أي: قال الأشرافُ لفِرعَونَ مُشيرينَ عليه: أخِّرْ موسى وأخاه هارونَ وأمهِلْهما. موسوعة التفسير

(وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) أي: وابعَثْ -يا فِرعَونُ- في مُدُنِ مملكتِك مَن يجمَعونَ منها السَّحَرةَ إليك. موسوعة التفسير

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿37﴾

(يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) أي: يأتوك بجَميعِ السَّحَرةِ المهَرةِ؛ ليُعارِضوا ما جاء به موسى. موسوعة التفسير

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿38﴾

(فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) أي: فجَمَع الحاشِرون السَّحَرةَ مِن المدُنِ للوَقتِ المحَدَّدِ لاجتِماعِهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى [طه: 57 - 59].

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ ﴿39﴾

(وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ) أي: وقيلَ لأهلِ مِصرَ: هل أنتم مُجتَمِعون لِتَنظُروا إلى ما يَفعَلُ الفريقانِ، ولِمَن تكونُ الغَلَبةُ. موسوعة التفسير

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿40﴾

(لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) أي: لعَلَّنا نتَّبِعُ السَّحَرةَ إن كانوا سيَغلِبون موسى. موسوعة التفسير

وقال ابن عاشور: (رَجَوا اتِّباعَ السَّحَرةِ، أي: اتِّباعَ ما يؤيِّدُه سِحرُ السَّحَرةِ، وهو إبطالُ دينِ ما جاء به موسى، فكان قولُهم: لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ كنايةً عن رجاءِ تأييدِهم في إنكارِ رسالةِ موسى فلا يتَّبِعونَه، وليس المقصودُ أن يصيرَ السَّحَرةُ أئمَّةً لهم؛ لأنَّ فِرعَونَ هو المتَّبَعُ).

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿41﴾

(فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ) أي: فلمَّا حضَرَ السَّحَرةُ قالوا لفِرعَونَ: هل ستُعطينا أجرًا إن غلَبْنا موسى. موسوعة التفسير

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿42﴾

(قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) أي: قال فِرعَونُ لهم: نعمْ، سأُعطيكم أُجرتَكم إنْ غلبْتُم موسى، وأَزيدُكم على ذلك أنْ أجعَلَكم مِن المقَرَّبينَ لدَيَّ. موسوعة التفسير

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿43﴾

(قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) أي: قال موسى للسَّحَرةِ: اطرَحوا في الأرضِ ما تُريدونَ طَرحَه كائنًا ما كان. موسوعة التفسير

﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿44﴾

(فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) أي: فطرَح السَّحَرةُ الحِبالَ والعِصِيَّ الَّتي أعَدُّوها للسِّحرِ، وخيَّلوا للنَّاسِ أنَّها حَيَّاتٌ تَسعَى. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى [طه: 66].

⇦ يقال: إنها كانت عبارة عن أنابيب مثل البلاستيك المطاطة مليئة بزئبق، فعندما رموها إلى الأرض فإن الزئبق لا يستقر في الأنبوبة فيحصل له تمدد مع أشعة الشمس فتتحرك الأنابيب المطاطية وكأنها ثعابين.

قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى} [طه:٦٧] أي: أن النبي الرسول الكريم خاف منها.

(وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ) أي: وقال السَّحَرةُ: بعَظَمةِ فِرعَونَ وقُوَّتِه وقُدرتِه وقَهرِه وشِدَّةِ سُلطانِه، إنَّا لَنَحْنُ الغالِبونَ موسى. موسوعة التفسير

قاله ابنُ عطيَّةَ. وقيل: الباءُ للقَسَمِ: أقسَموا بعزَّةِ فِرعَونَ على أنَّهم يغلبونَ؛ ثِقةً منهم باعتقادِ ضلالِهم أنَّ إرادةَ فِرعونَ لا يغلِبُها أحدٌ؛ لأنَّها إرادةُ آلهتِهم.

قال البقاعي: في قَولِه تعالى: وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ أنَّ كلَّ مَن حلَفَ بغيرِ اللهِ -كأن يقولَ: وحياةِ فلانٍ، وحقِّ رأسِه، ونحوِ ذلك- فهو تابعٌ لهذه الجاهليَّةِ.

قال -ﷺ-:"من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك". صحيح الترمذي

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿45﴾

(فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) أي: فألقَى موسَى عصاهُ فأخَذَتْ تبتَلِعُ بسُرعةٍ جميعَ ما ألقاه السَّحَرةُ مِن الحِبالِ والعِصيِّ التي أوهَموا النَّاسَ أنَّها حيَّاتٌ وخَدَعوهم بذلك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى [طه: 69].

قال شيخ الإسلام: هذه الحادِثةُ الخارِقةُ للعادةِ فيها إثباتُ الصَّانعِ، وإثباتُ نبُوَّةِ أنبيائِه؛ فإنَّ حُدوثَ هذا الحادِثِ على هذا الوَجهِ في مِثلِ ذلك المقامِ يُوجِبُ عِلمًا ضَروريًّا أنَّه مِن القادِرِ المختارِ؛ لتَصديقِ موسى عليه السلامُ، ونَصرِه على السَّحَرةِ.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿46﴾

(فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ) أي: فلمْ يَتمالَكِ السَّحَرةُ أنفُسَهم لَمَّا شاهدوا ذلك، وعَلِموا أنَّه صُنعُ صانعٍ حَكيمٍ، لا مِن صُنعِ البَشَرِ، ولا مِن تَمويهِ السَّحَرةِ، فرَأَوا عظيمَ قدرةِ الله سبحانَه، وعرَفوا صدقَ موسَى عليه السلامُ، وأنَّ ما جاءهم به حقٌّ، فسَجَدوا لله تعالى مُسرِعينَ بلا تَرَدُّدٍ. موسوعة التفسير

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿47﴾

(قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي: قال السَّحَرةُ عندَما سَجَدوا لله: آمَنَّا بخالقِ ومالكِ ومدَبِّرِ السمواتِ والأرضِ وما بيْنَهما، الَّذي دعَانا موسَى إلى عبادتِه. موسوعة التفسير

قال الشوكاني: أضافوا الرَّبَّ سُبحانَه إلى مُوسَى وهارُونَ؛ لأنَّهما القائمانِ بالدَّعوةِ في تِلكَ الحالِ، وفيه تبكيتٌ لفِرعونَ بأنَّه ليس برَبٍّ، وأنَّ الربَّ في الحقيقةِ هو هذا.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿48﴾

(رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) أي: ربِّ موسى وهارونَ، الذي أيَّدَهما بهذه المعجزةِ العظيمةِ، الدَّالَّةِ على صِدقِهما. موسوعة التفسير

قال سعيد بن جُبير، وعكرمة والأوزاعي، وغيرهم: لما سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تُهيَّأ لهم، وتُزخرف لقدومهم، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون، وتهديده ووعيده.

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿49﴾

(قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) أي: قال فِرعَونُ لِلَّذين كانوا سَحَرَتَه فآمَنوا: أصدَّقْتُم بأنَّ ما جاء به موسى حقٌّ وانقَدْتُم له قبلَ أنْ آذَنَ لكم بذلك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ [الأعراف: 123].

(إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) أي: إنَّ موسى لَرئيسُكم الذي علَّمَكم صناعةَ السِّحرِ، ولذلك آمنْتُم به، وتَواطأْتُم على ما فعَلْتُم. موسوعة التفسير

قال القرطبي: (أي: رئيسُكم في التَّعليمِ، وإنَّما غَلَبكم؛ لأنَّه أحذَقُ به منكم. وإنَّما أراد فرعونُ بقَولِه هذا ليشَبِّهَ على النَّاسِ؛ حتى لا يتَّبِعوهم فيُؤمنوا كإيمانِهم، وإلَّا فقد عَلِم فِرعونُ أنَّهم لم يتعَلَّموا مِن موسى، بل قد عَلِموا السِّحرَ قبْلَ قدومِ موسى وولادتِه).

(فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) أي: قال فِرعَونُ متهدِّدًا: فلَسَوفَ تعلَمونَ ما أفعلُه بكم مِن العِقابِ. موسوعة التفسير

قال ابنُ جرير: (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عندَ عِقابي إيَّاكم وَبالَ ما فعلْتُم، وخطأَ ما صنعْتُم مِن الإيمانِ به).

(لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أي: لأُقطِّعنَّ مِن كُلِّ ساحرٍ منكم يدَه ورِجلَه مِن جِهَتينِ مختَلِفتَينِ. موسوعة التفسير

قال ابنُ عثيمين: (قَولُه: مِنْ خِلَافٍ يعني: مُتخالِفةً؛ إذا قطَعَ اليدَ اليُمنى قطَعَ الرِّجلَ اليسرى، وإذا قطعَ اليدَ اليُسرى قطع الرِّجلَ اليمنى).

(وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) أي: ولأُصَلِّبَنَّكم جميعًا على جُذوعِ النَّخلِ. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: (والصَّلْبُ: ربطُ الجسمِ على عُودٍ مُنتَصِبٍ أو دَقُّه عليه بمساميرَ... والمبالَغةُ راجِعةٌ إلى الكيفيَّةِ أيضًا بشِدَّةِ الدَّقِّ على الأعوادِ).

كما قال تعالى: قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى [طه: 71].

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿50﴾

(قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ) أي: قال السَّحَرةُ المؤمِنونَ لفِرعَونَ: لا ضرَرَ علينا فيما يُصيبُنا مِن عذابِك المنقَطِعِ، ولا نُبالي به؛ لأنَّنا إلى اللهِ راجِعون، فيُجازينا أحسَنَ الجَزاءِ على إيمانِنا، وصَبرِنا على عذابِك. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: أنَّ الإيمانَ إذا صَدَقَ صار أقوى مِن العاطِفةِ، فحُبُّ النفْسِ أمرٌ فِطريٌّ؛ ولكنَّ الإيمانَ يؤدِّي إلى أنْ تَرخُصَ النفْسُ عندَ المرءِ بجانبِ دِينِه.

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿51﴾

(إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) أي: إنَّا نرجو أن يستُرَ رَبُّنا ذُنوبَنا، ويتجاوَزَ عن مؤاخَذتِنا بها؛ بسبَبِ كَونِنا أوَّلَ مَن آمَنَ بموسى عندَ ظُهورِ آيتِه. موسوعة التفسير

قال البيضاوي: (إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا لِأَن كنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ مِن أتباعِ فِرعَونَ، أو مِن أهلِ المشهَدِ).

قال ابنُ عثيمين: السَّبقُ إلى الإيمانِ وإلى العَمَلِ الصَّالحِ مَنقَبةٌ، ومِن أسبابِ الرُّتَبِ العاليةِ والرِّفعةِ والمغفرةِ؛ لذا قال سَحَرةُ فِرعَونَ: أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، فكان قَولُهم هذا من بابِ التحَدُّثِ بنِعمةِ الله، الذي يَرَونَه سببًا ووسيلةً لِمَغفرةِ الذُّنوبِ، ولم يكُنْ قَولُهم مِن بابِ الإدلالِ على اللهِ والمِنَّةِ عليه بكَونِهم أوَّلَ المؤمِنينَ؛ ولهذا أيضًا قال الله تعالى: لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [الحديد: 10] ، فالسَّبقُ إلى الإيمانِ والعَمَلِ الصَّالحِ له مَزِيَّتُه، ولصاحِبِه مَرتبةٌ عاليةٌ.

فِرعونُ قبلَ أَرْسَلَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ، يَأْتُوهُ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ، فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى لمواجهةِ موسى –عليهِ السَّلامُ–، فوعدَهم مع الأجورِ الوسيعةِ، أن تكونَ لهم المنزلةُ الرَّفيعةُ، والعجيبُ ممن يتّهمُ موسى بالسِّحرِ، ثُمَّ ها هو يجمعُ السَّحرةَ من كلِّ مكانٍ، ويَعدُهم بالأجرِ العظيمِ والمكانةِ القريبةِ!، فجمعُ النَّاسِ لا لأجلِ اتِّباعِ الحقِّ، وإنما لاتِّباعِ السَّحرةِ فقط إن غَلبوا، وعدمِ اتِّباعِ موسى –عليه السَّلامُ– وإن فازَ!

بدأتْ المواجهةُ اللَّفظيَّةُ بينَ الطَّرفينَ، (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) [طه: 61]: أيُّها السَّحرةُ، لا تنصروا الباطلَ وأهلَه، (وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ)[طه: 61] ، بهذا السِّحرِ الذي تَصدُّونَ به النَّاسَ عن السَّبيلِ، وأنتم تعلمونَ أنَّه كَذبٌ وتَخييلٌ، ألا تَخافونَ أن يُسْحِتَكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ، فَيَستأصِلَكم فلا تَبقَى منكم عينٌ تَطرفُ؟! (وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى) [طه: 61]، فكيفَ بمن افترى على اللهِ ورُسلِه...

وَصلتْ هذه الكلماتُ الصَّادقةُ من موسى عليه السَّلامُ إلى الأعماقِ، فَأثَّرتْ غَايةَ التَّأثيرِ وبدأَ بينَهم الشِّقاقُ، (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ)[طه: 62]؛ وقعتْ كلماتُه كالقذيفةِ في معسكرِ السَّحرةِ ففرَّقتهم أحزاباً، (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى)[طه: 62]؛ وأخفوا الخلافَ بينَهم حتى لا يسمعَهُ أحدٌ، ولكنْ أخبرنا اللهُ -تعالى- عن حديثِهم: (قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)[طه: 63]، فقالَ بعضُهم لبعضٍ: إنَّ موسى وهارونَ ساحرانِ وليسا نبيينِ، وإنَّهما يُريدانِ أن يُخرجاكم من أرضِكم، ويذهبا بما كانَ لكم من الفَخرِ والمالِ والشُّهرةِ بسببِ السِّحرِ، وهكذا عندما يعجزُ أهلُ الباطلِ عن مواجهةِ الحقِّ؛ فإنَّهم يستخدمونَ سلاحَ الكَذبِ وتشويهِ السُّمعةِ، (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى)[طه: 64]؛ اجتمعوا كُلَّكم صَفاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مَرةً واحدةً؛ لتُبهروا القلوبَ والأبصارَ، وتحوزوا الفلاحَ والانتصارَ، وسبحانَ الله! حتى أهلَ الباطلِ يعلمونَ أهميَّةَ الاجتماعِ في العلوِّ والنَّصرِ. فتقدموا وهم يتظاهرونَ بالقوَّةِ والجَلَدِ: (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ)[طه: 65] عصاكَ، (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا)[طه: 65، 66]؛ هذهِ هي الثِّقةُ باللهِ، فليسَ مُهماً أن تكونَ أولَ من ألقى، ولكن المهم أن تكونَ أصدقَ من ألقى، (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ)[الشعراء: 44]، (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى)[طه: 66]، (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)[الأعراف: 116]، حتى أنَّ الأرضَ مُلِئَتْ حيَّاتٍ تَسعى للنَّاظرينَ؛ لِكَثرةِ ما ألقَوا من الحِبالِ والعِصِيِّ، فخافَ النَّاسُ مِن كَثرتِها، ولكم أن تتخيلوا وحشةَ المكانِ المليءِ بالأفاعي السَّامةِ التي تتقافزُ في جميعِ الاتِّجاهاتِ!. (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)[طه: 67]، خوفُ النَّاصحِ المصلحِ الحريصِ على هدايةِ النَّاسِ، خوفُه على النَّاسِ أن يَفتتنوا بهذا السِّحرِ ويَغتروا بهِ، ولكن هنا يأتي التَّثبيتُ من اللهِ تعالى لأوليائه، (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى)[طه: 68]، فمن كانَ اللهُ -تعالى- معه فهو الغالبُ القاهرُ، فأنتَ المنتَصِرُ على فِرعَونَ وسَحَرتِه وجُندِه، (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)[طه: 69]، وإذا بها تتحوَّلُ إلى ثُعبانٍ ضَخمٍ يبتَلِعُ بقُوَّةٍ وسُرعةٍ جَميعَ الحِبالِ والعِصِيِّ التي خَيَّلوا إلى النَّاسِ بسِحرِهم أنها حيَّاتٌ تتحَرَّكُ؛ كما قالَ -تعالى-: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ)[الأعراف: 117 - 119]. وهنا حدثتْ المفاجأةُ؛ (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) [طه: 70]، هؤلاءِ الذينَ ألقوا الحبالَ والعِصيَّ سِحراً وكُفراً قبلَ قليلٍ، ها هم يُلقونَ جِباهَهم على الأرضِ إيماناً بالعزيزِ الجليلِ! لا إلهَ إلا اللهُ، هل تتخيلونَ هذا المنظرَ الذي

يُبهجُ أهلُ الإيمانِ، ويُغيظُ أهلُ الكُفرِ والعِصيانِ، جميعُ السَّحرةِ في وقتٍ واحدٍ يسجدونَ مُذعنينَ لربِّ هارونَ وموسى، أمامَ النَّاسِ، وأمامَ فِرعونَ، وأمامَ الجنودِ، فيا فرحةَ موسى وهارونَ!، ويا فرحةَ أهلِ الإيمانِ، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ!، وهكذا ينتصرُ الحقُ لِزاماً، وعداً من اللهِ، (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) [الأنبياء: 18]. هنا أُسقطَ في يدِ فِرعونَ، وكيفَ له أن يخرجَ من هذا الموقفِ العصيبِ، (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ) [الأعراف: 123]، وعجباً لهذا الطاغيةِ المستبدِّ الذي اعتادَ على أن يستأذنَه النَّاسُ في كلِّ ما يعملونَ، ولا يعلمُ المسكينُ أن الإيمانَ إنَّما يتغلغلُ إلى القلوبِ بُلطفٍ لا يحتاجُ إلى استئذانٍ. ثُمَّ جاءت التُّهمُ المعروفةُ لتنفيرِ النَّاسِ عن المصلحينَ، الأولى: (إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا) [الأعراف: 123]؛ الإخلالِ بأمنِ البلادِ، الثانية: (إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) [طه: 71]، تخطيطٌ وحيلةٌ لأجلِ خِداعِ العِبادِ.

ثُمَّ تأتي التَّهديداتُ، الأولى: (فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) [طه: 71]، الثَّانيةُ: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) [طه: 71]، ثُمَّ زَعمَ أمامَ الجماهيرِ أنَّ عذابَه هو الأقوى والأشدُّ، (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) [طه: 71]. عجباً لكَ يا فرعونُ!، هل خَطرَ يوماً على بالِك أنَّ عذابَكَ أشدُّ من عذابِ اللهِ وأبقى؟، أم إنَّه الكِبرُ والطُّغيانُ؟، أو هو الكَذبُ والبُهتانُ؟، فأينَ أنتَ اليومَ؟! أخبرني عن برنامجِك في الغداةِ والعشيِّ، (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) [غافر: 46]، وستكونُ القائدُ وحاملُ الرَّايةِ يومَ القيامةِ، فبئسَ القائدُ والأتباعُ، (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) [هود: 98].

ماذا كانَ موقفُ المؤمنينَ، وهم يقفونَ أمامَ أعظمِ طاغيةٍ عرفتْه البشريةُ، وهو يهدِّدُ تهديداً فَصلاً ليسَ بالهَزلِ؟ اسمعوا إلى هذا التَّسلسلِ البديعِ، والذي صنعَه الإيمانُ الخالصُ: (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) [طه: 72]، كانوا قبلَ قليلٍ يبحثونَ عن الأجرِ الدُّنيويِّ، والآنَ أصبحتْ الدُّنيا كلُّها شيئاً تافهاً، فما الذي تغيَّرَ؟! (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [طه: 73].

ثُمَّ أصبحوا دُعاةً لدينِهم، يَعظونَ فِرعونَ ومن معَه، (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى)[طه: 74 - 76]، (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)[الأعراف: 126]، فما أجملَهما من وفاةٍ على الإسلامِ!، فكانوا أولَّ النَّهارِ كُفَّاراً سحرةً، وأصبحوا آخرَه شُهداءَ بررةً، فعجبٌ عُجابٍ، لثباتٍ يَذهبُ بالألبابِ!.

هل سألنا أنفسَنا يوماً -ونحنُ الذينَ قضينا في الإسلامِ سنيناً طويلةً- هل نجدُ من الإيمانِ ما وجدَه هؤلاءِ السَّحرةُ في دقائقَ قليلةٍ؟، أخبروني عن المبادئ ؟، حدِّثوني عن القِيمِ؟، ذكِّروني بالثَّوابتِ التي تربينا عليها من كتابِ اللهِ -تعالى- وسُنَّةِ رسولِه -صلى اللهُ عليه وسلمَ-، لماذا نرى التَّنازلاتِ في ظِلِّ الفِتنِ والمتغيِّراتِ؟!

فمع ضَغطِ الواقعِ أو أدنى شهوةٍ أو أقلِّ حظٍّ من متاعِ الدُّنيا الزَّائلِ، نجدُ الأعذارَ الواهيةَ والمبرِّراتِ؛ لأجلِ مُخادعةِ النَّفسِ واتِّباعِ الشَّهواتِ، فأينَ الإيمانُ الذي تُخالطُ بشاشتُه القلوبَ؟، قالَ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ- : "إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ؛ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ -تَعَالَى- أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ". هلال الهاجري